نسمات

أغاريد من الجنوب

قصصٌ قصيرة

قصة: عبد المجيد زراقط

رسوم: عبد الرحمن بكر

أغاريد من الجنوب

قصصٌ قصيرة

قصة: عبد المجيد زراقط
رسوم: عبد الرحمن بكر

عنوان الكتاب: أغاريد من الجنوب - قصص قصيرة
تأليف: عبد المجيد زراقط
رسوم: عبد الرحمن بكر
الطبعة الأولى: 1440هـ - 2020م
حقوق الطباعة والنشر محفوظة للمؤلف فقط
مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر
44شارع سوتير، أمام كلية الحقوق - الإسكندرية - مصر
الموقع الإلكتروني: www.levantcenter.net
البريد الإلكتروني: levant.egsy@gmail.com
رقم الإيداع: 2019/5851
الترقيم الدولي: 978-977-6651-25-8
الإخراج: إيهاب رشدى

أغاريد من الجنوب

كانت أميمةُ الصغيرةُ السمراءُ تلتصقُ بأمّها ، كلَّ عشيةٍ ، وتقولُ :

– أمّي ... ، وردتي الحمراءُ وحدَها . الآن ... وردتي تذبلُ ، والعصفورُ الحلوُ هل تركها ، كما تركناها نحنُ؟ وبيتُنا ... بيتنا الجميلُ أريدُ أن أعودَ ، اليومَ ، إلى بيتنا ... لم لا تجيبين!؟ لم لا تريدين أن نعود إلى بيتنا ، يا أمّي!؟ أنت ما عدتِ تُحبّين بيتنا!؟

كانت الأمُّ تنصتُ إلى المذياع باهتمام شديد ، وتكادُ لا تسمعُ شيئاً مّما تقوله ابنتُها .

بقيتِ الصَّغيرةُ تلتصقُ بأمّها ، تقولُ وتسألُ ، وظلّت الأم تنصتُ إلى المذياع ...

وفجأةً ، أمسكت الصغيرةُ يدَ أمّها وشدّتها بأقصى قوّتها ، وقالت :

– هه ... لم لا تجيبين!؟

ابتسمتِ الأمُّ لصغيرتها ، شدّتها إليها تضمُّها ، وقالت :

– يبدو أنَّ عودتنا إلى بيتنا صارت قريبةً ، يا عزيزتي ، فأرضُنا لا تثمر ورداً وياسميناً فحسب ، وإنما تثمر فتياناً أشدّاء ، أشدّاء ...

تمشَّت أميمةُ في المنزل الواسع ، وتفقّدت غرفه العديدة : واحدةً واحدة ، ثم هرعت إلى الشرفة ، وهي تقول :

– أنا لن أحبَّ هذا البيت ، لن أحبَّه ، ولو أعطانا إيّاه صاحبه عطاءً ، ليس إعارةً ، كما هو الآن ...

وقفتِ الصَّغيرةُ على الشّرفة قرَب القفصِ الملوَّن ، وانحنت تنظرُ إلى الحسُّون المتنقِّل على القضبان تبسمُ له . ثمَّ مدَّت كفّها ، من بين القضبان ، وبسطتْها للعُصفور ، فراحَ يدورُ ويعلُو ويهبطُ مع الكفِّ التي كانت تلاعبُه .

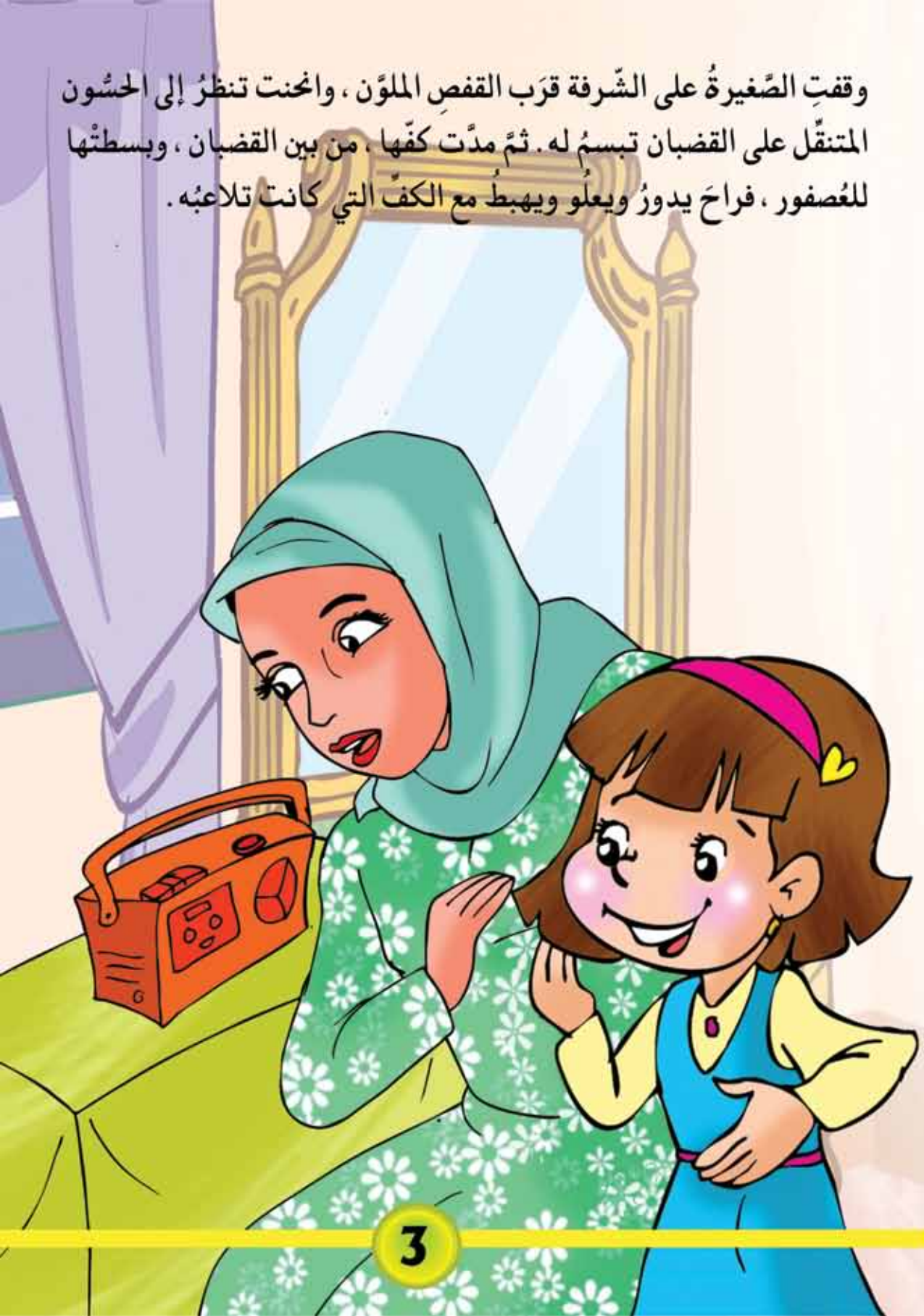

جلست أميمةُ على الأرض قربَ القَفَص الملوّن ، وأسندت ظهرها للحائط ، وظلّت تلاعبُ الحسّون الجميل ، وفجأةً خطر لها أن تسأله :

– هل تعرفُ وردتي الحمراء ، أيُّها الحسّونُ البديع؟ إنّها لا تبعد سوى خطواتٍ عن ياسمينة أختي .

وسمعت صوتاً عذباً يقول :

– بلى أعرفها ، يا عزيزتي ، كنتُ أبقى دائماً في عبّها أُغنّي ، ألا تذكرين!؟

فتمتمت : أخبرني عنها إذاً ...

وجاءَ الصّوتُ العذبُ يقول :

– الوردةُ الحمراء وحيدةٌ الآن ، يا عزيزتي . أغصانها تقصرُ وتجف ... والياسمينةُ لا تنفكُ تذبل مثلها أيضاً ... إنّهما لا تتشابكان الآن ، ولا تتناجيان ، وليس من أحد يروي عطشهما ، أو يُغنّي لهما ...

فقالت أميمةُ بصوتٍ تخنقهُ الغصّةُ :

– ليتني أعود ... ليت أحداً يعود فيؤنسُهما ، ويعودُ لي بأخبارٍ عنهما .

وعاد الصوتُ البديع فرحاً :

– وأنا ، ماذا أفعل!؟ أطيرُ إليهما ، وأعود إليك بأخبارهما ...

قفزت أميمةُ من الفرح ، وهي تكادُ ترقص . انحنت على القفص المفتوح بابُه ، وخاطبت الحسُّون قائلة :

– طِرْ إذاً ... ، ولا تُطل الغياب ...

قفز الحسّونُ عدّة قفزات . كادَ يلتصقُ بباب القفص ، ثم زقزقَ بصوتٍ تخنقهُ العبرات ...

لم تدرِ أميمةُ إلاّ وهي تغمض عينيها ، ثمّ تفتحُهما ، وتنظر إلى العصفور ، وتراه يطيرُ صوب الجنوب ، ويتلفّتُ نحوها ، وبدا لها مبتسماً فرحاً ، ورأته يحطّ على رأس بنايةٍ عالية ، ويلتفت إليها ، ويهزّ رأسه ملوّحاً ...

ثم رأته يغيب ..

في الأيّام التوالي ، كانت أميمةُ تقفُ ، كلَّ مساء ، على الشرفة ، تنظر صوب الجنوب ...

وفي كل صباح ، كانت أميمةُ تنهض باكراً وتنصت ... وكانت تسمعُ الأغاريد تأتي من البعيد ، فتبتسم للصّوت العذب الذي يهمسُ لها :

– وردتُك الصغيرةُ لا تزال تنتظر ، وأنا عدتُ أُغنّي لها ، والنّدى لا ينفكُّ في كلّ فجرٍ يسقينا ...

...وإلى جانب وردتك وياسمينة أختك ، نبتت بنادقُ الفتيان ، وصارت تغرّد مطاردةً الجيش المحتل وعملاءه . إنّنا جميعاً نغرّد ، في الجنوب ، يا حبيبتي .

كانت أميمة تُنصتُ ، وتتمتم :

– لن يطول انتظارنا في هذا القفص إذاً . لا ، لن ، يطول ...

عودة مهى

أفاقتْ مهى باكراً وسألتْ أُمَّها : متى نعودُ إلى بيتِنا ، يا أمّي؟

كانتِ الأمُّ تُسوّي غطاءَ وعاءٍ مملوءٍ بكراتِ العجين . بقيتْ تُسوّيه ولم تُجِب .

عندما انتهتِ الأمُ ، قالتْ لابنتِها : هيّا ، يا عزيزتي ، قبل أن يسبقَكِ الكثيرونَ إلى الفرن .

حملتِ الفتاةُ الصغيرةُ الوعاءَ ، وسارتْ صوبَ الفرنِ ؛ وهي تدعكُ عينيها وتُتمتِمُ :

- ليتَ أمّي تقولُ لنا متى نعودُ إلى بيتِنا . تُرى لِمَ لا تريدُ أن تُخبِرَنا بذلك ، وهي تُحبُّنا!؟

في الفرنِ ، جلستِ الفتاةُ على المقعدِ الطويل تنتظرُ دورَها . أسندتْ رأسَها إلى الحائطِ ، وأغمضتْ عينَيها ...

أحسَّتْ مهى أن يداً تمتدُّ وتأخذُ الوعاءَ من أمامِها ، وترفعُ الغطاءَ ، ثمَّ رأتْ كرةً من كراتِ العجينِ تقفزُ من الوعاءِ وتستقرُّ على الطاولةِ .

ثم رأتِ الكُرَةَ ترقُّ وتستديرُ وتغدو كعكةً شقراءَ شهيَّةً ...

أرادتْ التقاطَها ، فرأتْها تتدحرجُ صوبَ الباب ... ولم تلبثِ الكعكةُ أنِ اجتازتْ بابَ الفرنِ ، وصارتْ تسيرُ ، كدولابِ العجلةِ ، على مهلٍ .

لحقتِ الفتاةُ بالكعكةِ تُريد أن تُمسكَها . ضاعفتِ الكعكةُ سُرعَتها ، وقالتْ للفتاة :

- أَلا تُريدينَ العودةَ إلى بيتكم؟ أنا أيضاً أُريدُ ، هيا معي في رحلةٍ جميلةٍ إلى هناك ...

ركضتِ الفتاةُ خلفَ الكعكةِ وقطعا معاً طرقاتٍ وحقولاً وأوديةً... ثم
وصلا إلى حقلٍ واسع. وقفتِ الكعكةُ في وسطِه. وتمتمتِ الفتاةُ:
- هو حقلُنا لولا كَثرَةُ الأشواكِ والشقوقِ فيه...
قالت الكعكةُ: لعلّي لن أبدأ ثانية يا عزيزتي... ألا تَرَين ليس من سنابلَ!؟
قالتِ الكعكةُ هذا، وعادتْ تُواصلُ السيرَ، لحقتِ الفتاةُ بها... وقفا في أوّلِ
القريةِ. أجالتِ الفتاةُ النَظرَ، وقالتْ:
- هي بيادُرنا، لولا ...، ألا تَرينَ!؟ ليس من فلاحينَ ولا نوارجَ!
عادتِ الكعكةُ تسيرُ، ولحقتْ بها الفتاةُ. كانتْ أزقّةُ القريةِ خاليةً. قالتِ
الفتاةُ "هي قريتُنا لولا أن أهلَها لا يزالونَ راقدينَ حتى الآن"...
لكنْ لِمَ يفعلُ أهلُ هذه القريةِ هكذا؟ يَرقدونَ والشمسُ تسطعُ في السماءِ...
لعلّه لم يَعُدْ من ديوكٍ توقظهم!؟
سارتِ الكعكةُ والفتاةُ في دروب القريةِ. رأتا محراثاً مرميّاً يُردّد:
- طالَ شوقي للحقول والكروم.
ثم رأتا نَورجاً مقلوباً يُردّد: طالَ شوقي للقشّ والحَبّ...
وبعدَ طُولِ تَجوالٍ، وقفتِ الفتاةُ والكعكةُ أمامَ منزلٍ صغيرٍ...
أطالتِ الفتاةُ النَظَرَ، وصرختْ:
- هو بيتُنا، تعالي، أقبلّكِ أيتُها الكعكةُ الحلوةُ...
لكنَّ الكعكةَ كانت قد صارتْ في الداخلِ تُطِلُّ من مخزنِ الحبوب قائلة:
- ليس لي من أخواتٍ لي هنا... تُرى لِمَ عدتُ، إذاً...

كانتِ الفتاةُ تُردّد : هو بيتُنا .

وكان صاحبُ الفرنِ يربّتُ بكفِّهِ على كَتِفِها الصغيرة قائلاً :

- لعلكِ اشتقتِ إلى بيتكُم ، يا صغيرتي . أنا لم أطِلَّ عليك كثيراً ...

خُذي ... فهذا الوعاءُ مملوءٌ بالكعكِ الشهيّ ...

فتحتِ الفتاةُ عينيها ... حملتِ الوعاءَ ، وعادتْ مُسرعةً إلى أُمّها ،

وهي تُتمتِمُ :

- بلى ، هو بيتُنا ... عدتُ إلى بيتنا ، يا أمّي ...

قالت الأمُّ : عدت!؟ كيف!؟

- ليتَكِ تعلمينَ كيف عُدْتُ إلى بيتِنا ، يا أمي ... ، سأحكي لك الحكاية .

أبو جمال وضابط الاحتلال

كان "أبو جمال" جالساً أمام الخيمةِ القائمةِ وسطَ حقلهِ، وينظرُ إلى البعيد ...
كان يخطر في باله سؤال: يسألُ عنّي دائماً، ماذا يريدُ منّي؟
وفجأةً، مرَّت سيَّارةٌ كأنَّها هبوبُ ريح، لمحها، وتمتمَ:
- وجاءَ، أخيراً، الذي يتوعَّدون به، سوف نبقى هنا، وليكنْ ما يكون.
قال هذا، وأمسكَ بكفِّهِ عوداً حادَّ الطَّرف، راح يخطُّ في الأرضِ ويرسمُ،
ثم راحَ يتأمَّلُ خربشاتهِ، وظلَّ يردِّدُ: سنفعلُ ما نريدُ، وليكنْ ما يكون...
أطلَّ، من بين خربشاتهِ، ثعلبٌ طويلُ الأنيابِ تأمَّلهُ مليّاً. ثم رسمَ قبالته قنَّاً،
تسرح فيه دجاجاتٌ سمينات. تأمَّلَ المنظرَ قليلاً، وأسرع يرسمُ امرأةً تحملُ
عصاً كبيرةً، وقربها فتىً يحملُ فخّاً ضخماً، وابتسمَ، ثم تمتمَ وكتب في أسفلِ
لوحتهِ " بلى، ليكنْ ما يكون، وفي فخّي العظيم لا بدَّ يقعون " ...
رمى "أبو جمال" العودَ، وفركَ كفَّيه، وسرَّحَ نظرَهُ بعيداً، ثم أمسكَ بالعود
من جديد، وكاد يستأنفُ عملَهُ لولا أن ناداهُ صوتٌ من بعيد " أحضرْ سريعاً إلى
منزلِ المختار، قائدُ المنطقةِ يطلبُكَ. "
نهض "أبو جمال" متمهّلاً، وهو يتمتم:
- قائدُ المنطقة، هه! ماذا يريدُ منّي هذا المحتلُّ؟
نظرَ إلى العصا والفخّ فعرضت بسمتهُ، نفضَ ذيلَ سرواله، وتقدَّمَ موزِّعاً نظراته
في أنحاء حقلهِ المفروش خضرة يانعة، وقال ملوّحاً بيديه:
- إلى اللقاء، وعسى أن يكون ذلك سريعاً. واصلَ السَّيرَ بخطىً بطيئة، وهو يردِّدُ
في خاطره " لن نكونَ طعاماً سهلاً، بل لن نكونَ طعاماً أبداً، وليكنْ ما يكون. "

وصلَ إلى منزل المختار، دخل وحيّا " السَّلام على الأهل الكرام، ومرحباً بأهل
البلد الطيّبين. " ثم وقفَ يتأملُ الجمعَ الغفير .كانتِ الغرفةُ الواسعةُ تغصُّ بالرجال،
وكان رجلٌ ضخمٌ كالفيلِ يربضُ على مقعدٍ عالٍ وسطَ الغرفةِ. كان هذا الرجلُ
يرتدي الزيَّ العسكريَّ، وعلى كتفهِ نجومٌ سداسيةُ الشكل، وحواليهِ يجلسُ
عدّةُ جنود، وخلفهُ يقفُ جنودٌ آخرون.
تفادى "أبو جمال" نظراتِ الجنود جميعهم، هذه النظرات التي تكادُ تلتهمهُ،
وراح يتفقّدُ بنظراته رجالاتِ قريتهِ فوجدَهمُ، في الصفِّ المقابل، ينظرونَ
إليه، وقد علقَ الكثيرُ من الكلام على شفاههِم. كانوا كثيرينَ جداً، ولعلَّ
القريةَ كلَّها كانت تملأ المكان، وَتحيطُ به.
فرح "أبو جمال" بنظراتِ الحنوِّ المتجهةِ إليه، وارتمى على الأرض وتربَّعَ، وهو
يقول للذين أفسحوا له مجالاً على مقعدٍ أو كرسي:
- أنتم لا تدرون بشوقِ أرضنا للالتصاق بها في هذه الأيام، إن عناقها أشهى
من عناقِ الحور الحسانِ في الخلدِ من الجنان...

قهقهَ الضابطُ ذو النجوم السداسية، فاهتزَّ بطنهُ المندلقُ أمامهُ. ربَّتَ عليه طويلاً، وقال:

- لطيفٌ أنت، تحبُّ الحيَاةَ ونحن نعدِكَ بالوفير من الطَّيِّبات.

كان "أبو جمال" سريعاً في ردِّهِ، فقال، وهو يضعُ يديه على الأرض:

- طيِّبات! أيُّ طيِّباتٍ تعدُني بها!؟ ليس أطيبَ من أن نبقى وحدَنا في أرضنا، ولا يطأها أحدٌ غيرنا... هذه هي طيِّباتنا...

خيَّم صمتٌ طويلٌ قَطَعه الضَّابطُ بقوله:

- ما تقولُه تمام، ولكن ألا تعلمُ أنتَ أنَّ دخولنا خلَّصكم...

سكت الضَّابطُ لحظةً، ثم أضاف: كنتم، قبل مجيئنا، في خلافٍ مستمرٍّ ومشاكل دائمة. وكان الغرباءُ يعتدُون عليكم. خلَّصناكم منهم، وأنتم، الآن، بسبب وجودنا، متآلفون، وصرتُم تعملون ضدَّنا...، كأنَّنا لسنا عليكم بمفضلين.

همسَ "أبو جمالُ" لجاره: يتكلَّمُ هذا الصهيونيُّ المحتلُّ العربيَّة بطلاقة وفصاحة كأنَّه...

قطعَ الهمس صوتُ الضَّابط القويِّ: وأنت، ماذا تقول؟

تركزت النَّظراتُ على "أبي جمال"، فبدا مرتبكاً للحظات. ثم فرَك كفَّيه على مهلٍ، وابتسمَ من طرفِ فمه شبه المطبق. تنحْنَحَ، وتربَّعَ على الأرض جيِّداً، وقال:

ـ أودُّ، في هذه المناسبة، أن أحكي لك حكاية، وأرى أنَّك تستطيعُ استيعابها، وتعرفُ ما أريدُ أن أقول.

سرت همهماتٌ، وعلت ضحكاتٌ، وبدا الغضبُ في وجه العسكر. لكنَّ الضَّابطَ ابتسمَ حتى بانت أضراسُه، وقال: احكِ حكايتك، أنا أحبُّ حكاياتكم، أنتم شاطرون بالحكي...

سوَّى "أبو جمالُ" جلستَه، وبدأ يحكي:

كان، يا ما كان، كان، في قديم الزَّمان، قنُّ دجاج. دجاجاتهُ سمينات. وكانت بينهنَّ واحدةٌ طموحة. أرادت أن تُخْرجَ إلى هذه الدُّنيا فراخاً يملأنها ضجيجاً وفرحاً.

أعربتِ الدَّجاجةُ الطَّموحُ عن رغبتها بقَوْقَأةٍ مستمرَّة، فابتهجت العجوزُ، صاحبةُ القنِّ، وراحت إلى جاراتها تستقرضُ البيض الصَّالح منهن. وسرعان ما جمعت عشرين بيضةً، وضعتها تحت دجاجتها الغالية التي صارت تُسمَّى "قِرْقَة".

أعربتِ "القِرْقَةُ" عن غبطتها بعدَّةِ "قَرْقاتٍ"، عاليات، وانصرَفت إلى البيض تحضنُه...

مرَّت الأيَّامُ طويلةً، ثمَّ أتى اليومُ الذي خرج فيه إلى الوجود عشرون فرخاً سرعان ما صرْنَ يملأنَ القنَّ والباحة المحيطة به ضجيجاً وشجاراً.

كبُرتِ الفراخُ، وبدا واضحاً أنَّها غيرُ مُتجانسة، لا في ألوانها، ولا في طباعها، ولهذا كانت تظلُّ في عراكٍ مستمرٍّ، فكلٌّ منها يريدُ أن يتفرَّدَ بالحبَّات النَّاصحات وحده.

وكانتِ الدَّجاجةُ الأمُّ لا تهتمُّ بعراك فراخها؛ فهو، في رأيها، علامةُ حيويَّة. وإنَّما كانت في شُغُلٍ عنه بتناول المزيد من الحبِّ، والانصرافِ إلى التَّمدُّد في الظِّلِّ ترنوُ إلى صغارها فخورةً مزهوَّة.

وجاء يومٌ تغيَّر الوضعُ فيه تمام التَّغيُّر، فقد تسلَّل إلى الباحة التي تحيطُ بالقنِّ، على مهلٍ، ثعلبٌ أنيابهُ طويلة.

كانت الفراخُ تتعارك كعادتها، وكانت الأمُّ تنبشُ التُّراب فرحةً، وكان الثَّعلبُ يتقدَّمُ آمناً. اقتربَ من الدَّجاجة الأمِّ، وحاولَ إمساكها. في هذه اللحظة حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد تدافعت الفِراخُ من كلِّ ناحٍ مشرعةً مناقيرها، ناشرةً أجنحتها، مُعْليةً صياحها.

فوجئ الثَّعلبُ، وتطلَّع حواليه، فرأى العجوز صاحبةَ القنِّ مقبلةً بعصاها الغليظة، وهي تصرخُ مبتسمة " مرحى فراخي الأحبَّاء، مرحى وحدتُكم المنقذة. "

كانتِ العجوزُ تتقدَّمُ، وكانتِ الفراخُ تتجمَّعُ حولَ الدَّجاجة الأمِّ، وكان الثعلبُ يجري هارباً و...

لم يكملُ "أبو جمال" حكايته، فقد وقف الضَّابط، وصرخ:

- نحن لسنا الثَّعلب الهارب...، نحن...، امسكوه قبل أن يهرب...

فوقف "أبو جمال"، ووقف أبناءُ القرية، وتقدَّموا نحو ابن قريتهم. أحاطوا به، وهم يقولون: هكذا يجب أن نكون.

فوجئ الضَّابطُ ذو النُّجوم السداسيَّة الشكل، فراح يصرخ:

- أنت مخرِّب، نحن نُربِّيك...

ضاقت الحلقةُ حول "أبي جمال" فتعالى صراخُ الضَّابط: كلكُم مخرِّبون... نربِّيكم كلَّكم... نحن نعرف كيف...

ظلَّ الضَّابط يصرخُ، وظلَّ النَّاسُ يحيطون بـ "أبي جمال" حتى صاروا حوله كالحلقة المقفلة المتراصَّة...

نسمات

سلسلة قصص قصيرة للأحبَّة
الفتيات والفتيان
(المرحلة المتوسِّطة)
ويمكن للكبار أن يقرأوها ...
ولكل متعتُه الجماليَّة والمعرفيَّة
التى ترفُّ كالنسمات ...

LEVANT